**بســـــــم الله الرحمن الرحیم**

رسالة الانسان قبل الدنيا

الرسائل التوحيدية، ص: 164

و ظواهر الكتاب و السنة تدل على ما مرّ قال تعالى: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِين‏ (اعراف/54) ففرّق سبحانه بين الخلق و الأمر، فعلمنا أنّ الخلق غير الأمر بوجه و ليس الأمر مختصّا بآثار أعيان الموجودات، حتّى تختصّ الأعيان بالخلق، و آثار الأعيان بالأمر؛ لقوله سبحانه: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي. (اسراء/85) فنسب سبحانه الروح، و هو من الأعيان إلى الأمر، و قوله تعالى: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (یس/82)

أفاد أنّ أمره هو إيجاده بكلمة كن، سواء كان عينا أو أثر عين، و حيث ليس هناك إلّا وجود الشي‏ء الذي هو نفس الشي‏ء، تبيّن أنّ في كلّ شي‏ء أمرا إلهيّا.

أقول: ما مرّ هو « إنّ عالم المادة مسبوق الوجود بعالم آخر غير متعلّق بالمادّة، فيه أحكام المادة و هو علّته، و بعالم آخر مجرّد عن المادة و أحكامها، هو علّة علّته، و يسمّيان بعالمي المثال و العقل، و عالميّ البرزخ و الروح‏‏» و انما استنتج ما ذکره اخیراً من مقامات الانسان من هذه الدعوی فالمطلوب اثبات دلالة هذه الآية علیها.

و مراحل الاستدلال علی ما نروم هکذا:

1. تبیین معنی لفظتي «الخلق» و «الامر».

2. تبیین ما بینهما من النسبة.

3. التنبیه علی شمول حکمهما للانسان.

* **تبیین معنی لفظتي «الخلق» و «الامر»**

1. اللفظتان لیستا بمترادفتین و الشاهد علی تعدد معانیهما العطف في کریمة الاعراف[[1]](#footnote-1).

ففرّق سبحانه بين الخلق و الأمر، فعلمنا أنّ الخلق غير الأمر بوجه.

رأي المصنف رحمه‌الله في معنی اللفظتین في المیزان:

الخلق- هو التقدير بضم شي‏ء إلى شي‏ء و إن استقر ثانيا في عرف الدين و أهله في معنى الإيجاد أو الإبداع على غير مثال سابق، و أما- الأمر- فيستعمل في معنى الشأن و جمعه أمور، و مصدرا بمعنى يقرب من بعث الإنسان غيره نحو ما يريده يقال أمرته بكذا أمرا، و ليس من البعيد أن يكون هذا هو الأصل في معنى اللفظ ثم يستعمل الأمر اسم مصدر بمعنى نتيجة الأمر و هو النظم المستقر في جميع أفعال المأمور المنبسط على مظاهر حياته، فينطبق في الإنسان على شأنه في الحياة ثم يتوسع فيه فيستعمل بمعنى الشأن في كل شي‏ء فأمر كل شي‏ء هو الشأن الذي يصلح له وجوده، و ينظم له تفاريق حركاته و سكناته و شتى أعماله و إراداته، يقال: أمر العبد إلى مولاه، أي هو يدبر حياته و معاشه، و أمر المال إلى مالكه، و أمر الإنسان إلى ربه أي بيده تدبيره في مسير حياته.

و لا يرد عليه أن الأمر بمعنى الشأن يجمع على «أمور» و بمعنى يقابل النهي على «أوامر» و هو ينافي رجوع أحدهما إلى الآخر معنى، فإن أمثال هذه التفننات كثيرة في اللغة يعثر عليها المتتبع الناقد

فالأمر كالمتوسط بين من يملكه و بين من يملك منه كالمولى و العبد و يضاف إلى كل منهما يقال: أمر العبد و أمر المولى، قال تعالى: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ»: البقرة: 275، و قال: «أَتى‏ أَمْرُ اللَّهِ»: النحل: 1.

و قد فسر سبحانه أمره الذي يملكه من الأشياء بقوله: «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ‏ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ»: يس: 83، فبين أن أمره الذي يملكه من كل شي‏ء سواء كان ذاتا أو صفة أو فعلا و أثرا هو قول كن و كلمة الإيجاد و هو الوجود الذي يفيضه عليه فيوجد هو به، فإذا قال لشي‏ء: كن فكان، فقد أفاض عليه ما وجد به من الوجود، و هذا الوجود الموهوب له نسبة إلى الله سبحانه و هو بذاك الاعتبار أمره تعالى و كلمة «كن» الإلهية، و له نسبة إلى الشي‏ء الموجود، و هو بذاك الاعتبار أمره الراجع إلى ربه، و قد عبر عنه في الآية بقوله: «فَيَكُونُ‏». و قد ذكر تعالى لكل من النسبتين- و إن شئت فقل: للإيجاد المنسوب إليه تعالى و للوجود المنسوب إلى الشي‏ء- نعوتا و أحكاما مختلفة سنبحث عنها إن شاء الله في محل يناسبه.

و الحاصل: أن الأمر هو الإيجاد سواء تعلق بذات الشي‏ء أو بنظام صفاته و أفعاله فأمر ذوات الأشياء إلى الله و أمر نظام وجودها إلى الله لأنها لا تملك لنفسها شيئا البتة.

و الخلق هو الإيجاد عن تقدير و تأليف سواء كان ذلك بنحو ضم شي‏ء إلى شي‏ء كضم أجزاء النطفة بعضها إلى بعض و ضم نطفة الذكور إلى نطفة الإناث ثم ضم الأجزاء الغذائية إليها في شرائط خاصة حتى يخلق بدن إنسان مثلا، أم من غير أجزاء مؤلفة كتقدير ذات الشي‏ء البسيط و ضم ما له من درجة الوجود وحده و ما له من الآثار و الروابط التي له مع غيره، فالأصول الأولية مقدرة مخلوقة كما أن المركبات مقدرة مخلوقة. قال الله تعالى: «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً»: الفرقان: 2، و قال: «الَّذِي أَعْطى‏ كُلَّ شَيْ‏ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى‏»: طه: 50، و قال: «اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْ‏ءٍ»: الزمر: 62، فعمم خلقه كل شي‏ء. فقد اعتبر في معنى الخلق تقدير جهات وجود الشي‏ء و تنظيمها سواء كانت متمايزة منفصلا بعضها عن بعض أم لا بخلاف الأمر.

و لذا كان الخلق يقبل التدريج كما قال: «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ‏» بخلاف الأمر قال تعالى: «وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ»: القمر: 50، و لذلك أيضا نسب في كلامه إلى غيره الخلق كقوله: «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها»: المائدة: 110، و قال: «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ»: المؤمنون: 14 و أما الأمر بهذا المعنى فلم ينسبه إلى غيره بل خصه بنفسه، و جعله بينه و بين ما يريد حدوثه و كينونته كالروح الذي يحيا به الجسد.

انظر إلى قوله تعالى: «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ‏» و قوله: «وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ»: الروم: 46، و قوله: يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ»: النحل: 2، و قوله: «وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»: الأنبياء: 27، إلى غير ذلك من الآيات تجد أنه تعالى يجعل ظهور هذه الأشياء بسببية أمره أو بمصاحبة أمره، فنلخص أن الخلق و الأمر يرجعان بالآخرة إلى معنى واحد و إن كانا مختلفين بحسب الاعتبار.

فإذا انفرد كل من الخلق و الأمر صح أن يتعلق بكل شي‏ء، كل بالعناية الخاصة به، و إذا اجتمعا كان الخلق أحرى بأن يتعلق بالذوات لما أنها أوجدت بعد تقدير ذواتها و آثارها، و يتعلق الأمر بآثارها و النظام الجاري فيها بالتفاعل العام بينها لما أن الآثار هي التي قدرت للذوات و لا وجه لتقدير المقدر فافهم ذلك.

و لذلك قال تعالى: «أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» فأتى بالعطف المشعر بالمغايرة بوجه و كان المراد بالخلق ما يتعلق من الإيجاد بذوات الأشياء، و بالأمر ما يتعلق بآثارها و الأوضاع الحاصلة فيها و النظام الجاري بينها كما ميز بين الجهتين في أول الآية حيث قال: «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ‏» و هذا هو إيجاد الذوات «ثُمَّ اسْتَوى‏ عَلَى الْعَرْشِ‏ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» و هو إيجاد النظام الأحسن بينها بإيقاع الأمر تلو الأمر و الإتيان بالواحد منه بعد الواحد.[[2]](#footnote-2)

مصدر، اسم مصدر، تحقیق لغت، ماده «خ ل ق»، ماده «أ م ر»

1. ## . فأتى بالعطف المشعر بالمغايرة بوجه‏ ... و ما ربما يقال: إن العطف لا يقتضي المغايرة، و لو اقتضى ذلك لدل في قوله: «مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ»: البقرة: 98 على كون جبريل من غير جنس الملائكة! مدفوع بأن المراد مغايرة ما و لو اعتبارا لقبح قولنا جاءني زيد و زيد و رأيت عمرا و عمرا فلا محيص عن مغايرة ما و لو بحسب الاعتبار، و جبريل مع كونه من جنس الملائكة يغايره غيره بما له من المقام المعلوم و القوة و المكانة عند ذي العرش. (الميزان في تفسير القرآن، ج‏8، ص: 152)

   [↑](#footnote-ref-1)
2. ## الميزان في تفسير القرآن ؛ ج‏8 ؛ ص150

   [↑](#footnote-ref-2)